

عرض «مفاوضات الاختلاف».. مسرح سياسى يخلو من المعتقدات والأفكار



جرجس شكرى

تاريخ النشر

٢٠١٩/٠٥/٢٥ - ٠٠:٥٢:٥٦

"مفاوضات الاختلاف" العرض المسرحى الذى أقيم فى بناية قديمة تعود للقرن التاسع عشر "تمارا" فى وسط مدينة القاهرة حاول استعادة التاريخ لإعادة صياغته، أو قل إعادة بناء عالم من العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى فضاء هذه البناية القديمة، بمشاركة الجمهور الذى لن يكون مجرد مشاهد بل هو شريك أساسى فى اللعبة المسرحية التى تبدأ من مدخل البيت القديم فى هذه المفاوضات الأدائية التى تناقش القيم الاجتماعية والذاتية فى ثقافات مختلفة.

تستقبل الممثلة والمخرجة النمساوية كلوديا بوسيه الجمهور حين تهبط الدرج الخشبي العتيق محملة بمجموعة من اللوحات لفتها حول جسدها، الأيدي والبطن والرقبة، لتنتزعها واحدة واحدة، تهبط الدرج وهى محملة بثقافات متباينة وتحاور الجمهور حول ثقافة الاختلاف من خلال اللوحات التى تجسد مجموعة من المدن وتبرز ليس فقط العمارة بل العادات والتقاليد والقيم الثقافية والاجتماعية لهذه الحقب وهذه الثقافات، وسوف تقشر نفسها أو تنزع عنها هذه المدن بكل ما تحمله من دلالات اجتماعية وسياسية وثقافية وتوزعها على الجمهور الذى سوف يحملها ويشارك فى العرض.. وكنت أول المشاركين حين خاطبتنى ونحن نقف فى مدخل البناية أن أحمل هذا المنظر من مدينة دوسلدورف وهو مشهد للقاهرة.. وبدأت تنتزع الثقافات الأخرى من حول جسدها ويحملها آخرون، وراحت تصف المشهد وهو عبارة عن "بطاقة بريدية من عام 1902 وجدتها فى أرشيف مدينة دوسلدورف/ أرى طاحونة هواء فى الجانب الأيمن خلف مجموعة من البنايات / نهر طريق ترابى على الجانب الأيسر/ عام 1889 ظهر شارع القاهرة للمرة الأولى/ فى باريس خلال إقامة المعرض الاستثنائى الذى صممه مهندس معمارى فرنسى بعد فترة وجيزة من محاولة الخديو إسماعيل الذى تعلم فى باريس تحويل القاهرة إلى باريس الشرق/ قام بشق قناة السويس لكن

إسماعيل أفلس واضطر إلى بيع حصته من القناة إلى الإنجليز والفرنسيين/ شارع به مسجد و 25 متجراً وسوق". هذا وصف اللوحة الذي سردته السيدة بالإنجليزية، ثم راحت تنزع عن جسدها لوحة أخرى لمدينة الإسكندرية، حول المشروع الخيالي الذي أسسه المصري اليوناني جورج بانجيلو.. الشارع المصري بكل مفردات القرن التاسع عشر فى شيكاغو.. وتوالت الصور التى تجسد هذه الفكرة ويطلق عليها العرض الهوية الثقافية المفتعلة، ثقافة للبيع، ثقافة الراسمالية، ثقافة التصدير من أجل تسلية الجماهير من خلال الآخرا وتتوالى المشاهد فى هذا الاتجاه لنصعد مع كلاوديا بوسيه إلى الطابق الأول فى البناية القديمة التى تنتمى فى عمارتها إلى تلك الحقبة لنجد شريكها عبدالله ضيف فى انتظارنا يحدث الجمهور عن نشأة فن المسرح فى مصر وحوار حول زكى طليمات وآخرين لا يخلو من السياسة متضمناً حكاية جمعية الحمير، وسوف نتجول فى هذا الفضاء خلف كلاوديا وعبدالله، كلاهما يبحث عن الآخر فى أداء تمثيلى يعتمد على إمكانيات الصوت والقدرة على التحكم فى الجسد وأيضاً لغة العيون فى محاولة للتفاعل بين ثقافتين مختلفتين، الغرب والشرق، النمسا ومصر، عبر وجهات نظر مختلفة سواء على المستوى العام أو الخاص، كلاهما يطارد الآخر عبر أداء مسرحى لا يخلو من الحدة والصرامة، كلاهما يكتشف/ يحاور الآخر، وفى أحيان أخرى شعرت بأن ثقافة تطارد ثقافة أخرى وسط الجمهور الذى يشارك فى الحدث.



جاء فى بطاقة "مفاوضات الاختلاف" أن العرض يعكس تأثير الأيديولوجيا على حاضرنا فى ظل راديكالية الخطاب السياسى وذلك فى محاولة لطرح أسئلة حول تأثير هذه الراديكالية السياسية على حياة الأفراد اليومية" وفى سبيل هذه الفكرة اعتمد العرض على بحث تم إجراؤه بين مصر والنمسا أى بين الشرق والغرب وتمت معالجته درامياً ليقدم لنا فقرات أدائية وتكوينات بصرية وضعها الكاتب "جونتر أوير" لتمزج بين السياسى والتاريخى والاجتماعى وأيضاً الشخصى لتعكس فى النهاية الاختلاف بين الثقافتين من خلال عرض مختلف عن السائد والمألوف فى كل مفرداته.. الإطار العام، الفكرة، الحوار، الأداء، فضاء الحكاية.. ناهيك عن بطاقة العرض التى حفلت بمصطلحات سياسية، فمن يقرأ البطاقة خاصة قبل العرض سيتوجه للبحث عن علاقة هذا العرض بالراديكالية أو التوجه الصلب والمتطرف والهادف للتغيير الجذرى للواقع السياسى، هذه الفلسفة التى تبحث فى مظاهر الظلم فى المجتمع ومحاولة انتزاعها، كيف يتم تجسيدها فى الفضاء المسرحى حتى وإن كان العرض قائماً كمشروع وأسس بحثية، والعرض يبحث كما يفعل

الراديكاليون فيما يعتبرونه جذور الأخطاء الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى المجتمع ويطالبون بإزالتها وهذا ما حاول العرض تقديمه من خلال معالجة درامية لبعض الأفكار العامة والأحداث التاريخية والمواقف الشخصية مستخدماً الصور الفوتوغرافية والسينمائية فى فضاء هذه البناية القديمة أو فى هذا الفضاء التاريخي، ليتنقل الجمهور خلف كلاوديا وعبدالله حيث انتشرت الصور على أرض هذا البيت وأصبحت كل صورة تشكل مشهداً يلتف حوله الجمهور، سواء من ذكريات الشرق/ عبدالله.. أو ذكريات الغرب/ كلاوديا.. تم من خلالها استخدام الصورة التى تؤكد على أهمية البعد الكيفى فيما تعرض له من فنون تشكيلية، ويدخل التجربة المسرحية فى سياق ترتيبى زمنى إلى تجربة تنشطها انطباعات الحواس ويسودها عامل المكان. وكما هو الحال فى الفن التشكيلي الحديث فإن مسرح الصور أيضاً لا زمانى، حتى وإن كانت هذه الصور شخصية أحياناً للممثل والممثلة، فحين يستعين المسرح بالصورة كجزء من البناء العميق للعرض يحيل المشاهد إلى أزمنة وعوالم مختلفة، زمن وعالم الصورة، بدءاً من الصور التى عرضتها كلاوديا على الجمهور فى بداية العرض ومروراً بالصور التى انتشرت على أرضية فضاء الحدث، ووصولاً إلى الصورة المعروضة على الشاشة، فقد وزع العرض الرؤية الزمانية بين الزمن المجرى والزمن المباشر.. تمثل الأول فى مجموعة التابلوهات التى عُرضت فى فضاء الحدث والتى كانت تنقل المشاهد إلى زمن آخر زمن أشباح الأيديولوجيا التى يقصدها العرض من خلال البحث الذى أجراه كى يصل إلى هذه المادة، حيث تفرض على المشاهد تحليل مكان التابلوه الخاص فى الهيكل الفنى، كما أنه يوقف عامل الزمن عن طريق الزج بمشهد معين فى بؤرة الاهتمام، سواء المشهد العام الحافل بالرموز التاريخية التى تشرح علاقات اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية، أو المشاهد الخاصة التى اعتمدت على تابلوه شخصى لكلاوديا / النمسا أو تابلوه شخصى لعبدالله من مصر والذى أيضاً يجسد هذه العلاقات.

"مفاوضات الاختلاف" ينتمى ربما إلى المسرح السياسى لكن من خلال رؤية ما بعد حداثة تعتمد على تفكيك الكليات وتنحاز إلى التعددية والانفتاح، بالإضافة إلى سقوط صفات عدم الانحياز والموضوعية، وغياب الغاية فكلها أيديولوجيا يحاربها العرض.

شارك عرض "مفاوضات الاختلاف" فى مهرجان "دى كاف" الذى يديره المخرج المسرحى أحمد العطار حيث شاهده جمهور القاهرة فى وسط المدينة، ومن قبل شاهده جمهور الإسكندرية فى مهرجان "لازم مسرح".